باب المراسلة والمناظرة

نظرات في اللغة

مختار الصحاح

للأب أنستاس ماري الكرملي

عضو مجمع اللغة العربية الملكي

١ — تمهيد

ألف الجوهري معجمه (الصحاح)، فذاع بين الناس ذيوعاً عجيباً وأصبح حجة، يستشهد به كل من أراد ان يدعم كلامه بدعامة متينة، او يصحح، او يزنه قوله عن كل شائبة أو شائنة. ولما شاع في أندية الأدب، ومجالس العلم، حسده عليه جماعة، وحاولوا ان يحطوا من منزلة صاحبه، لكن ذلك النقص زاده علاء وسلطة على من ساوره وعاداه. فكان كل ما أخذوه عليه: «قذيفة شيطان رجيم رمى بها».

وأخذت طائفة أخرى تصنف المعاجم، ومن وقت الى وقت تشير فيها الى ما في الصحاح من المغامز والاوهام، فلم يؤثر ذلك النقد الى ما في بحار الجوهري من الدرر واللآلىء، بل الفرائد الغوالي، وبقي تصنيفه عالي المقام، كما ان القمر، لا يناله الضرر، اذا ما عابه الاطفال، أو شتمه الاذذال.

هذه هي منزلة ابي نصر اسماعيل من البصراء وفقهاء اللغة. ثم جاء الامام زين الدين بن محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي في المائة السابعة للهجرة، (وهي المائة الثالثة عشرة للميلاد) واختصره اختصاراً حسناً سماه: (مختار الصحاح)، فاتخذه كل متفقه أو أديب يجتزىء بالوشل عن الفيض، وبالقل عن الكثر، فحفل الطلبة والمتعلمون الى المدارس، وتناولته أيدي الكبار والصغار، لأن صاحبه وضعه على طرف الثمام.

وقد نسخ هذا السفر مراراً لا تحصى، وترى منه أمثلة في البلدان العربية اللسان، لا بل في الديار الاعجمية، كايران والهند وربوع الترك، وارجاء الافرنج، ومطارحهم. وكذا يقال عن طبعه، فانه نشر في اصقاع شتى، وأفاد مطالعيه الفوائد الجلى. وأحسن طبعاته ما برز بحلة قشيبة في المطبعة الاميرية العامرة من وادي النيل المبارك، على ما رتبه صاحب العزة محمود خاطر بك، وقيده بالشكل الكامل صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول للغة العربية بوزارة المعارف العمومية سابقاً، وعني بتصحيحه وتنقيحه وتعليق بعض حواشيه حضرة الزميل الصديق صاحب العزة الشيخ احمد بك العوامري، من أعضاء

مجمع اللغة العربية الملكي . ولهذا السبب قررت وزارة المعارف العمومية المصرية طبعه على نفقتها ، واستعماله في المدارس الاميرية ، فجاء تحفة من التحف يفاخر بها أرباب فن الطباعة ، وأبناء المدارس

ولما كان هذا المعجم في منتهى النفاسة ، مع ما عليه من صغر الحجم ، كان من الحق ان يخلو من كل شائبة ، او وصمة ، او عيب أيًّا كان . وقد رأينا في طبعته هذه ، بعض المغامز نود ان لا تكون فيها في الطبعة الجديدة الآتية ، ونفضل نشرها في المتطف لما نالت هذه المجلة من الانتشار في الآفاق ، والذيوع بين ظهرانيّ المتعلمين الى الأدب الصحيح وعشاق اللغة المضرية

ونحن لا نتكلم هنا الا عن اخلاص نية ، بغية الانتفاع بهذه الفريدة الحريدة صادق الانتفاع ، وسعياً لان يكون آية من آيات التحقيق والامعان في التدقيق

٢ — ملاحظات عامة

قال مرتب الديوان في المقدمة التي صدره بها ما هذا بعضه بحروفه : « هذا وقد آلى على (المختار) من تحريف النسخ والطبع ، ما تكدرت معه صورته ، ورثى له من أجله صاحب العطوفة الهمام ، « حسين فخري باشا » ، ناظر المعارف العمومية ، وصاحب السعادة « يعقوب ارتين باشا » وكيلها المفضال ، فاستقر رأيهما على اعادة طبعه بنفقة المعارف ، وعهدا في تصحيحه وضبطه الى حضرة فضيلة الاستاذ الثقة اللغوي « الشيخ حمزة فتح الله » المفتش الاول للغة العربية في النظارة ، ورغب سعادة الوكيل المشار اليه ان يتم الفائدة من الكتاب ، وان يسهل على الطلبة تناوله ، فرأى ان يكون على اعتبار الحرف الاول والثاني كما هو ترتيب المصباح ، للامام الفيومي ، وان ترد الى كل مادة مشتقاتها التي يصعب على الطالب ردها اليها ، مع حذف ما لا يتفق ان يطرق مسامع النشء ، بشرط المحافظة على أصل الكتاب وقد تم بحمد الله تعالى وفق المرام » اه

فهذا كلام يدل على ان في (المختار) تحريفاً كثيراً ، منه ما وقع من قلم النساخ ، ومنه ما جاء من الطبع . ولهذا عني العلماء المذكورون فوق هذا بتصحيحه ، واعادة نصه الى نصابه بما في الامكان — الا ان هذا العمل او هذا المسعى الحميد لا يقفنا على ان التهذيب موافق للاصل ، او مقارب له ، اذ لم يذكر لنا ان المصلحين عثروا على نسخة الاصل ، او على نسخة منقولة عن الأم . وكان يحسن بالناشرين او الطابعين ، ان يبحثوا عن مخطوط ، تكون احدى مزاياه ، هذه الخلة الكبرى ، اي ان يكون من نسخة هي ابنة الأم

وقد حصلنا نحن على مخطوط محلى بهذه المزية . ولهذا نرى من المستحسن ان ننشر بعض فصول تفيد متولي تدقيق الأدباء ليستفيدوا منها اذا ما حاولوا اعادة طبعه . وقبل ان نشرع في الكلام ونتصدى للغاية التي نرمي اليها ، يحسن بنا ان نقول كلمات ، توطئة للبحث فنقول :

كان يجدر بالناشر او الناشرين ان يقولوا كلمة على النسخة التي اعتمدوها لطبع الكتاب ، ويذكروا اسم ناسخه وسنة التي كتبه فيها . وإلا فمجرد اخراجه للقوم بهذه الصورة ، لا يوحي الثقة في صدر المطالع فيه

وكان يستحسن ايضاً ان يصدر السفر بترجمة المؤلف ، ترجمة مختصرة ، يذكر فيها ايضاً ولادته ومسقط رأسه ويوم وفاته ومنزلته من اللغة وبعد هذا انتقل الى تدوين بعض النظرات

٣ — نظرة عامة في النسخة المطبوعة

ا — نظرة اولى في رسم الحروف

حروف المطبعة الاميرية المصرية « الحالية » مشهورة بانها من ابدع الحروف ، ومن اجمل الخط فهي لآلىء تزري بدر البحار — ان صغارها وان كبارها — الا ان فيها عيباً ، هو انها لا تنقط الياء التي تختم بعض الكلم ، وهي تفعل ذلك « قصداً وعن عمد » لا عن محض اتفاق . وكذلك تفعل اغلب مطابع الديار المصرية ، واغلب طلبة المدارس والعلماء في ربوع وادي النيل ، زاعمين ان سبب اهمال النقط شهرة الالفاظ ولاسيما لان التنقيط وضع للذين لا يحسنون القراءة او انه يهين القارىء كأن الكاتب يحاول ان يبين جهل القارىء . فلو كان الامر كما يدعون فليهملوا تنقيط جميع احرف الكلمة ، او لا اقل من ان تهمل الكلمة التي فيها ياء في رأس اللفظة او في قلبها او حشوها

وقد كتبنا مرة في (المقتطف) الاغر ، وفي رسالة خاصة ، ان اعظم علماء العربية وأمعنهم في أسرارها لا يتمكن من قراءة بعض العبارات ، ان لم يقرأها مرتين او ثلاثاً ، بل ربما لا يمكنه ان يقرأها البتة ، ان لم ينقط آخرها ، ان كان فيها ياءات . وقد عرضنا عبارة وأحدة على عدة متبحرين في احكام اللغة واصولها فما اهتدوا اليها ولن يهتدوا ، ان لم يؤخذ بالاصلاح الذي نشير اليه ، ولا بد منه يوماً ، ولو طال الامد

زد على ذلك ان هذا الاهمال سبب اغلاطاً جمة في اللغة ، ووسع مدى التصحيف والتحريف فلا نعود الى هذا الموضوع ، وقد قتلناه بحثاً في ما كتبناه سابقاً ونتمنى ان تجاري مطابع ربوع ديار القراعنة ، مطابع سائر البلاد العربية اللسان ، كسورية ، ولبنان ، وفلسطين ، والعراق ، الى غيرها ، فيسهل على المطالعين ، قراءة تلك الكلمات ، من غير ان يتعبوا النظر فيها ثناء وثلاث ورباع ، ليهتدوا الى القراءة الصحيحة التي ارادها الكاتب

ولياذن لنا ناشرو هذه النسخة ايراد مثل واحد من هذا المعجم المفيد . فقد جاء في مادة (د م ا) ما هذا نصه : « ... وتصغير الدم (دمى) وجمعه (دماء) » وضبطت (دمى) بضم الدال وفتح الميم . والذي يعهده القارىء ان (دميٌ) جمع دمية وزان غرفة وغرف . وتصغير دم : دمي ، بضم الدال وفتح الميم وتشديد الياء المنقوطة فلو كانت الياء الخاتمة الكلمة منقوطة ، لكانت تقرأ (دُمَيّ) ولو لم تضبط اللفظة باي حركة كانت ، لكن اهمال تنقيطها ،

فحار النظر في امرها . وكذلك الذكر . فانظر بعد هذا الى ضرورة وضع التنقيط

وقائل يقول : لو كانت الكلمة تقرأ (دمى) جمع دمية ، لوضع التنوين على الميم ، فوضع الفتحة وحدها عليها ، يدل دلالة صريحة على ان الياء التي تليها تقرأ (دميّ) اي بضم الدال وفتح الميم وتشديد الياء . — قلنا : ولماذا ضبط الكلمة بالضم والفتح « ورشّ الكلمة بالبارز الكزبرة والحبة السوداء » في حين اننا نختصر كل ذلك ، بتنقيط الياء فقط ، فنخفف على الطابع تشكيل حرفين ، ونقتصد في الوقت ، وندفع عن منقح مسودة الطبع (كما يقول العراقيون او التجربة كما يقول المترجمون في مصر ، او البروفة ، كما ينطق بها عمال المطابع) اذ كثيراً ما يقع المنضد في الوهم حين يكثر بين يديه تقييد الالفاظ . افليس الاحسن ان نختصر كل ذلك بتنقيط الياء — هذا الحرف المسكين المظلوم الذي يبخس حقه بعض الادباء على غير ما اجترحه — زد على ذلك ان تشكيل اللفظة بالصورة المعهودة ينشىء سطراً جديداً هو سطر الحركات والضبط ، فوق السطر الاصلي الذي هو سطر الاحرف . اوليس الاحسن ان ننقط الياء — وتكون هذه الياء المنقوطة متيسرة لنا في منازل سائر الحروف التي في صندوق الطبع — فنخفف على القارىء ايضاً عناء اشغال النظر والفكر ونحن في مندوحة عنه

هذا مثال واحد لا غير من آلاف امثلة لا تحصى . ونحن نشفق من الاسترسال في هذا البحث ، حرصاً على الوقت وامتناعاً من ان نعل ماء مشرعة كنا نهلناه في ما تقدم من العهد

ب — نظرة ثانية في رؤوس مواد المعجم

وامنيتنا الثانية او نظرتنا الثانية ان يكون اصل الكلمة ، او رأس ترجمتها بحرف ممتاز ريان ، او ضخم ، حتى يسقط طائر الناظر او الباحث عن المادة ، سقوطاً قاصداً ، من غير ان يتصيدها في مطاويها او مثانيها . انظر الى المطبعة الاميركية في بيروت ، فانها جارت المطابع الافرنجية جميعها التي تتخذ الحرف الضخم الممتاز في رأس كل مادة من مواد المعاجم التي تتولى نشرها . (قاموس) مطبوع على هذا الغرار ، وهو آية في الطبع ، لا في التحقيق . وما يلو اصل المادة مطبوع بحرف ادق . وهكذا يفعل جميع اهل الغرب في طبع معاجمهم من صغيرة او كبيرة ، فاذا راجعتها على اختلاف قوميات اصحابها ، فانك تلفيها جميعها على هذا الاسلوب البديع الذي اصبح ضرورياً في هذا العصر الذي يرمي دائماً الى التسهيلات والمريحات وحسن الذوق وجمال المرئيات ، بل اصبح مثل هذا الطبع من اهم ضرائر المطبوعات في عهدنا هذا . والمعجم المنشور بهذه الحلة البديعة يرغب الناس في شرائه ولو لم يكن الشاري من القراء ولا من المحققين وقد تنفق سوقه — ولو كان الكتاب مشحوناً اغلاطاً — وتكسد سوق الكتاب الصحيح التأليف ، او القليل الاوهام لانه لم يحل بهذه الحلية العصرية . والاختبار احسن دليل على ذلك ، او احسن داع لنشره . فعسى ان لا نبقى في آخر الرعيل في هذا الامر وان نجاري الافرنج فيه كما جاريناهم في شؤون لا تحصى

ج — النظرة الثالثة في الحروف المكسورة

يشوه بعض المطبوعات — ولا سيما المصرية منها ، كأن هذه المزية لحقتها دون سواها — الحروف المكسورة . وهذا امر يجب ان تلافاه ولا يبقي له اثراً . خذ اي معجم كان من معاجم اللغة الانكليزية او الفرنسية او الايطالية او الالمانية ، وفيها مئات الصفحات ، بل الوفها ، ولا تصيب فيها حرفاً واحداً مكسوراً او ممحواً او مقلوباً رأساً على عقب ، او معيباً باي صورة كانت ، بل ترى العكس ، اذ تجد جميع السطور كسطور الحسان ، بينة التناسق صحيحة ، سالمة من كل علة ولو طفيفة ، بل لا عوج فيها ولا امت . زد على ذلك ان حروف دواوينهم اللغوية ادق بكثير من حروف اسفارنا . وكنا نتوقع ان نشهد هذا العيب في مطبوعاتهم لا في منشوراتنا ، والسبب واضح لان حروفهم دقيقة وتخل مما يكاد يسمى « لاشيء » ومع ذلك فالامر بخلاف المنتظر

هذا (مختار الصحاح) فليس فيه إلا ٧٤٥ صفحة ، وقد وقعنا فيه على حروف مسحوقة او مهشمة تنيف على المائة . اليس هذا مما يعاب عليه ويشين محاسنه . ومصداقاً لقولنا نذكر هنا بعض هذه المشوهات ، مشيرين هنا الى صحته ويبقى على القارىء مراجعة الاصل لاصلاحه ونشير بالرقم الاول الى الصفحة وبالثاني الى السطر ، ولا نعنى بذكر العمود لان السطور متوازية بعضها لبعض . وكل املنا ان لا يعود الى هذا السفر الجليل مثل هذا التشويه . ودونك شيئاً من تلك الامثلة :

سُمّي الاسير ١٦ : ٣ — وسمي البدر يدراً ٤٣ : ١ — عليها ٦٤ : ٩ — تأخرت ٧٣ : ٢٠ — استطرادي ٩٠ : ٢٠ — ام زوجها ١٥٨ : ١١ — سمي ١٦٥ : ١٤ — تضربان ١٧٩ : ١ والخلفة ١٨٥ : ١٧ — والجنة ٢٠٣ : ١٩ — الموالاة ٢٤١ : ١٠ — فرضي ٢٤٦ : ٢ — الحدي — ٣١٣ : ١٩ — مازلنا ٣١٦ : ٢ — عذاب ٣٢١ : ١٣ — الهروي ٣٢٤ : ١٩ — وترنم ٣٣٢ : ١٧ — والمصوبة ٣٧٢ : ١٥ فقل ٣٧٢ : ١٦ — الحطب ٣٨٠ : ٧ — نبياً ٤١٠ : ٥ — تشبه ٤٢١ : ١٠ — بنات ٤٢٣ : ١٩ — الشيء ٤٢٥ : ١٧ الظلام ٤٤٨ : ١٣ — زيداً (مكررة في) ٤٥٣ — الشيء ٤٥٩ : ٧ — عيال ٤٦٦ : ١١ — معي ٤٦٧ : ٨ — وقضي ٤٨٤ : ١٣ — كناية ٥١٢ : ١٩ — يمين ٥١٣ : ١٢ — والجهلة ٥١٣ : ١٥ — مفيض ٥١٦ : ١٥ — وزيد ٥١٧ : ١٥ — الشيء ٥٢٤ : ٥ والاذلة ٥٤٩ : ٥ — قوام ٥٥١ : ٧ — اتجمع ٥٨٥ : ١٧ — زيداً ٦١٠ : ١١ — ثمن ٦٣٠ : ٢٠ — التؤدة ٦٣٨ : ١٥ — والحدثون ٦٤٤ : ٧ ولد ٦٥٢ : ٥ — وهيتها ٦٩١ : ٤ — معناه ٤٠٢ : ١١ — من اديم ٧٢٣ : ٧ الكسائي ٧٣٩ : ١٩ — وايقظه ٧٤٣ : ٥ — تحالفوا ٧٤٥ : ٣

فهذه خمسون كلمة مكسورة الحرف فتجتزىء بهذا القدر عن ايراد الكل ، اذ به ما يؤيد ملاحظتنا . وكفى

د — النظرة الرابعة في رسم الهمزة

لم تر كتابا اختلف كاتبه في رسم همزة كلمه مثلما القيناه في هذا السفر الجليل ، فان طابعه صور الهمزات بخلاف القواعد المتعارفة عند الاقدمين من البصراء بالكتابة وتجويد الرسم . والغريب في هذا الامر ان الناشر لم يخالف السلف وحسب في هذا الاسلوب ، بل ناقض نفسه بنفسه ، ولم يجر ابداً على اصول متبعة ، وربما انحاز الى مذهب طائفة لم يتفق عليه اغلب الصرفيين ، بل سار وراء بعض المتفردين في آرائهم لبشار اليهم بالبنان ، مخالفتهم « اغلب » ارباب رسم الهمزة

فاما ما اختلف الناشر في تصويرها مع نفسه فكرسته لاسرائيل واسرائين (في اسر) وجبرائيل (في مادة روح) بالوجه الذي ذكرناه هنا وهو الوجه الشائع عند اغلب الصرفيين وقد خالفه في تصوير ميكائيل وميكائين في مادة (م ك ا) بهذا الرسم الغريب المنقول عنه . وكذلك فعل في اسرائيل فانه من بعد ان صوره بهذا الشكل خالفه في ص ١٦ : ٤ — وص ٢٨٣ : ١ — و٢٩٨ — و٢٩٨ : ٣ — و٦٣١ : ٢ و٣ — الى غيرها ولم نفهم سبب هذا الاختلاف في الكلمة الواحدة — والمشهور ماذكرناه اي ان الهمزة ترسم على صورة الياء وهكذا وجدناها في النسخة المنقولة عن الام

واما رسم الهمزة الذي خالف به القاعدة المطردة عند ارباب اصول اللغة فيرى في كثير من الالفاظ ونحن نذكر بعضها مشيرين الى ان الناشر رسم الهمزة الواردة في حشو الكلمة « على خط صغير مستقيم كالسين غير المسننة بل المبسوطة بسطاً . هذا اذا كان ما قبلها مفتوحاً . اما اذا كان ما قبلها ساكناً او مضموماً فيخالف طريقته هذه فمرة يكتبها بلا قائمة تقوم عليها بل وحدها بين حرفي الكلمة ومرة يرسمها على خُطَيِّط مستقيم واحياناً على صورة الياء . فالقارىء يعارفي هذه التيه الذي دونه تيه بني اسرائيل . ونحن نسرد هنا بعض هذه الحروف على ما جاءت بالصورة الواردة في هذا الكتاب :

مُؤد (ص ٣٢) — يُؤول ..مُؤف (٣٣) — توءمان (٧٤) كُؤوداً (وردت مراراً بهذه الصورة كما في ص١٨٢، ٣٦٣، ٥٦٠ — ورسم في ١٨٣ و٢٦٨ و٢٩٢، و٦٠٩، و٦٨٠ الى غيرها — تُؤول ١٩٨ — مذءوم ٢١٨ — مرادون ٢٢٧ — طُؤور ٤٠٣ — أطْؤار ٤٠٣ — ملجؤه ٤٦١ — كُؤوس ٥٦٠ — مُؤتة ٥٧٥ كتبت مرتين اخريين في ص ٦١٢ ومرتين في ٦٤٠ و ٦٣٧ — الأمْؤق ٦١٢ — ابْؤار ٦١٢ — مَرِيأ ٢٦٠ — تمالؤا ٦٣١ — المشؤوم ٦٧٩ — تَشْؤوم ٦٨٦ ومن الغريب انه كتب هؤوراً في ص ٧٠١ ولم يكتبها على مألوف عادته هُؤوراً . وكتب

موءودة ٧٠٥ — النشور ٧٢٣ — تواطئوا . وطئاً ٧٢٧ — ونشأ ومرفؤها ٧٣٧ — يئوس ٧٣٠ الى غيرها مما يطول تعدادهُ

***

اما القاعدة العامة التي قررها الواقفون على احكام العربية وأصولها المتينة فتستخلص فيما يأتي . قبل ان ترسم الهمزة حاول ان تليّنها — اذا كانت في الوسط ، الى أحد احرف العلة ثم اكتبها على صورة الحرف الطيل الذي أمثلها اليه . وان لم تحل أكتبها بلا عماد ، اي وحدها بلا حرف علة . اما اذا كانت في الاول فرسمها على الالف بلا شاذ . واما اذا كانت في الآخر ، فان سبقها حرف متحرك فاكتبها على صورة حرف علة يجانس حركة ماقبلها . واما اذا كان ماقبلها ساكناً ، فارسمها قائمة بنفسها اي بلا حرف طيل ، ودونك الشواهد على ذلك

(الهمزة في الأول) : أَخَذ وأُخِذ وإخاذة

(الهمزة في الوسط) — الساكنة مثل يُؤمنون ويأتمنُ ، ومُر

(الهمزة المتحركة وهي في الوسط) : مؤود ، ومُؤرنة وفِئة — ونؤام ونَبْأس وتؤمن ، وأظآر — سؤول مِئين ، ميئات . سُؤال وذِئاب . وسآمة — جبرائيل ، ورائيم ، راؤول

الهمزة في الآخر : شَيْءٌ وبرِيء وأرأ — شيء وسُوء وراء وخبء

فرسم هذه الهمزات بالرسوم التي خططناها هنا منقولة عن مختار الصحاح وعن الصحاح نفسه . ونسخة هذا الكتاب ايضاً منقولة عن الأم للجوهري

ولهذا لا تكتب شؤون الاّ بواوين وعلى الاولى همزة . ومن صورها على الياء فقد اخطأ وابتعد عن رسم الاقدمين لها وهو الرسم الصحيح الذي لا غبار عليه

***

ولا ننس ان تصوير الهمز على ماينبغي هنا هو الذي انشأ لنا كثيراً من الالفاظ التي نقلت الينا بحروفها العليلة اي غير مهموزة بسبب تليينها مثل الخطيئة فانها تركت لنا الخطية غير مهموزة، والذؤبون : الذوبون بواو ممدودة ساكنة ، والقائي ، والقاني : القالي ، والذؤلي : الذولي ، ومساوئه : مساويه . ومن مضارع يؤكد ويؤرخ ونحوهما جاءتنا التواريخ والتواكيد . الى آخر ماجاء من هذه الاشياء السهلة الكثيرة العدد

(الباقي للآتي) الاب انستاس ماري الكرملي